منازل الطريق في أدب الرحلات العراقي في القرن التاسع عشر

أ.د.محمد حسن علي مجيد الحلي
الجامعة الإسلامية/النجف الأشرف

الخلاصة:

اهتم البحث بدراسة منازل الطريق ، أي المحطات الواقعة في طرق المواصلات التي يسلكها التجار والرحالة والمبشرون والسياح والباحثون عن الآثار الذين يجوبون البلدان ،ومن هذه المنازل ذكر المدن والواحات والفنادق والخانات، وعرض البحث وصف الشعراء العراقيين لهذه المنازل من خلال رحلاتهم في القرن التاسع عشر، وهي تنقسم الى قسمين : منازل الطريق داخل العراق، وأبرز هؤلاء الشعراء الذين وصفوها : محمد بن الخلفة الحلي والسيد حيدر الحلي، كما وصف الشعراء منازل الطريق في رحلاتهم خارج العراق، منها الرحلة النثرية للسيد محمود شهاب الدين الآلوسي صاحب المؤلفات الشهيرة ،فضلاً عن الرحلات الشعرية التي اشتهر فيها الشعراء : عبد الجليل البصري والسيد حبيب بن طالب البغدادي والشاعر المشهور عبد المحسن الكاظمي، فقد جسدوا في قصائدهم الاوصاف المتنوعة لمنازل الطريق من خلال مشاهداتهم في رحلاتهم الى بلاد الشام والحجاز ومصر والبحرين وتركيا وايران والهند .

المقدمة :

السفر والترحال من الأمور التي شغِفَ بها الإنسان منذ أقدم العصور؛ لان غريزة حبّ الاطلاع وارتياد المجهول من اهم غرائزه ،فقد قام المصريون القدماء برحلات كثيرة ، ثم الفينيقيون فالإغريق فالرومان [١]، ثم رحلات العرب قبل الإسلام ، وحسبنا أن نشير الى رحلتي (الشتاء والصيف) اللتين كان يقوم بهما الرحالة والتجار في كل عام الى جنوب الجزيرة العربية وشمالها وجاء ذكرهما في القرآن الكريم ، ثم جاءت رحلات العرب المسلمين منذ البعثة النبوية المباركة حتى القرن العاشر للهجرة [٢]، حيث دخل السفر والترحال في فترة هدوء نسبي ، وخمول في الحركة والتنقل ؛ بسبب الاجتياحات الأجنبية المتتالية للبلاد وسيطرتها عليها ، وتخريب المواصلات ، وقلة وسائط النقل وسوء المسالك ، وكثرة قطاع الطرق ، وفقدان الأمن وسوء الإدارة ٠٠٠ حتى نشط الأوربيون في العصور المتأخرة ، ولا سيما في القرن التاسع عشر ، وكثر سُيّاحهم ورحلاتهم [٣] فصاروا يجوبون بلاد الشرق بالعشرات ، تحت أسماء وعناوين شتى متنوعة ، فمن منقبين عن الآثار ، أو مبشرين ، أو تجار ، أو رحالة وسياح ، أو خبراء أو مهندسين ، أو باحثين ، أو بصفات كثيرة غيرها ، وهكذا نشط عهد السياحة والسفر مرة أخرى ، ودبّتْ حركة جديدة في التنقل ورغبة في الأسفار . ومع ان عصر القرن التاسع عشر عصر هدوء نسبي في الحركة ، وقلة بالسفر والتنقل بالنسبة للعراقيين بسبب صعوبة المواصلات– كما أسلفنا – ورداءة وسائط النقل وسوء المسالك وفقدان الأمن وكثرة قطاع الطرق ، فان رحلات كثيرة قام بها مرتحلون عراقيون سجلوا خلالها الكثير من المشاهِد والمنازل ، ومعالم الطرق والخانات التي نزلوا فيها ، ومما يُلفت النظر أن هؤلاء السياح العراقيين ومسجّلاتهم ومشاهداتهم لم يذكرهم بعض من الّف في (أدب الرحلات) الحديث ، ولم ينالوا حظهم من الذكر والدرس والنشر والتحقيق ، مثلما نال رحالة الأقطار العربية منها ، فقد ذكَرَ – مثلاً – المؤلف (أحمد أبو سعد) في كتابه : (أدب الرحلات) المطبوع في بيروت سنة ١٩٦١ . الكثير من رحلات العرب من السوريين واللبنانيين والمغاربة ، ولكن من غير ان يذكر معهم سائحاً عراقياً واحداً – على كثرتهم – ممن قاموا برحلات كثيرة سجلتها كتب الأدب والتاريخ ، ووصفوا فيها

رحلاتهم ومسالك سيرهم ومشاهدات أسفارهم من منازل وخانات وطرق وبلدان وأبنية وقصور وأنهار وبحار وبساتين وعجائب ومفارقات ، سجلوها في مدوناتهم (شعراً ونثراً) ، وهي على قسمين :

١. المشاهد والمنازل والسفرات داخل العراق .

٢. الرحلات والسفرات الى خارج العراق أو من الخارج اليه ، وسنبدأ برحلات العراقيين ومشاهداتهم داخل العراق .

منازل الطريق داخل العراق

وهي كثيرة ، مما قام الأدباء العراقيون من رحلات ووصفوا فيها ما شاهدوه من طرق البر التي سلكوها ، او المراكب النهرية التي امتطوها ومن مشاهدات ومواقع ومنازل وخانات ، سجلوها شعراً او نثراً ، أو بالمزج بين الاثنين ، هذا فضلاً عما سجلوه عن مشاهداتهم في سفراتهم الى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ، سجلوها باسم : (الرحلات المكية) أو : (الرحلات الحجازية) مما حفظته كتب الأدب والتاريخ الكثير منها ، فاذا كان للسفر والتنقل والترحال لدى العراقيين هذه الأهمية الكبيرة بتسجيلها وحفظها والاهتمام بها ، فمن الطبيعي ان تستأثر الطرق التي سلكوها و (منازل الطريق) من خانات وديار مما كانوا يأوون اليها خلال أسفارهم باهتمام شديد ، وهذه المنازل او الخانات هي أمكنة تشاد لاستراحة السياح والمسافرين وكانت تقام بين المدن العراقية أو داخلها ، يقصدها المسافرون والتجار وناقلو البضائع والسواح يقضون فيها ليلاً مكفهرّاً ، أو نهاراً ممطراً أو يلوذون بها من هاجرة القيظ أو سعير الشمس أو زمهرير الشتاء ، أو لينالوا قسطاً من الرا حة بعد عناء سفر طويل ، وكانت المنازل أو (الخانات) هذه في تلك الأيام ضرورة ملّحة ؛ لمواصلة النقل ومتابعة السفر من مكان الى آخر ونقل البضائع وتأمين وصولها الى أصحابها ، ولولاها لتعذر على المسافرين والناقلين والتجار اجتياز المسافات النائية وقطع الفيافي والقفار، إذ كان يُراد تهيأة أماكن الراحة والسلامة والأمان للانسان والحيوان على حد سواء بعد قطعهم مسافات طويلة ، وقد كثر انشاء هذه المنازل على كثير من الطرق الخارجية بين المدن ، أو تُنشأ في داخل المدن لإقامة الزوّار والمسافرين ، فهي بمثابة (الفنادق) في الوقت الحاضر . اما الذين قاموا بانشاء هذه المنازل والنفقة عليها ، فهم غالباً الموسرون من الناس وُسراتهم ومبتغو الخير والثواب . او بعض الوجهاء والأعيان ، او بعض الولاة والمتنفذين وأمثالهم لتخلِد ذكرهم ويشار بعدها الى أعمالهم الخيرية ، فقد ذكر المؤرخ إبراهيم الدروبي في كتابه : (البغداديون – أخبارهم ومجالسهم) أن بعض الموسرين من المسلمين كانوا يقومون بأعمال ومشاريع خيرية ، منها : (الخانات) وكان بعض هذه الخانات كبيرة والبعض الآخر صغيرة ، وفيها الغرف والأواوين والمخازن . وغالباً ما تكون خالية من الآثاث[٤].

ذكر الشاعر حيدر الحلي (ت : ١٨٨٧م) في كتابه : (العقد المفصّل) أن بعض الموسرين من أسرة آل كبة ببغداد شيدّ من الخانات لايواء المسافرين والزوار على طريق بغداد – كربلاء ، وبغداد – الحلة ، وبغداد – سامراء ، وقال : ((وقد بنيتْ تلك المنازل في مفاوز قاحلة يكثر قطع المسافرين لها في حين يقيل به مسافر من هاجرة ولا مأوى يعرّس فيه أحد من أعيان أو خوف٠٠٠)) [٥] . لقد كانت هذه المنازل مؤسسات قائمة متطورة وذوات نفع عام ووظائف مهمة تؤديها للمسافرين والتجار والناقلين وانها ضرورية للسفر والتجارة وهي لم تكن من مستحدثات العصور المتأخرة او القرن التاسع عشر . انما كان بناؤها والاهتمام بها منذ زمن قديم في العراق . فقد ذكرت المصادر أسماء الكثير ممن شُيّد منها في العصور السابقة . فقد ذكر اليعقوبي (ت : ٢٨٤هـ) في (تاريخه) خاناً في بغداد يُعرف بـ (خان النجائب) [٦] ، كما اشار ياقوت الحموي (: ت ٦٢٦هـ) الى وجود خان يسمى : (خان وردان) كان يقع شرقي مدينة بغداد ، قال عنه انه يعود الى العصر العباسي الاول [٧]. ومن اشهر الخانات الماثلة حتى اليوم ببغداد : (خان مرجان) الذي يعود تاريخ انشائه الى سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م ، الكائن في سوق البزازين في محلة : (باب الاغا) حالياً ، وقد أمر ببنائه

حاكم بغداد : (أمين الدين مرجان) في عهد السلطان أويس بن الشيخ حسن الإيلخاني ، وكان يُعرف بـــ : (خان الاورتمة) ، أي الخان المسقوف – بالتركية – وانه يتكون من طابقين الاول يحتوي على ٢٣ غرفة ، والثاني ٢٢ غرفة وكان التجار والمسافرون يشغلون غرف الخان ، وتجري فيـــه وفـــي ساحته الوسطى عمليات البيع والشـــراء مـــدة تقارب من سبعة قـــرون [٨] .

ومن الخانات المشهورة ايضاً : (خان چغان) ويعود زمن بنائه الى أيام السلطان مراد الرابع العثماني ، وقيل انه شُيدّ على نفقة (چغاله زادة سنان باشا) والي بغداد بين عامي (٩٩٩-١٠٠١هـــ) [٩] الذي بقي يُعرف باسم مؤسسهِ الى الوقت الحاضر ، والذي بقي على حاله سنة ١٩٢٩م حيث هُدِم ، وغُمّرتْ مكانه أسواق ودكاكين . كما ذكر السياح الأجانب أسماء الكثير من الخانات واوصافها ، مما لم يبق لقسم منها أثر الآن ، إذ اندرس الكثير منها بفعل عوامل الطبيعة ومـــرور الـــزمن وحـــوادث التخريب والغارات والمعارك . فقد ذكر الرحالة الفرنسي (تافرينيه) الذي زار العراق فـــي القـــرن السابع عشر الميلادي وجود عشرة خانات كانت بحالة جيدة غير أن اثنين منها كانا يـــوفران الامـــن والراحة للمسافرين [١٠] ، كما اشار الرحالة الالماني (كارستن نيبور) الذي زار العراق سنة ١٧٦٦م الى وجود ٢٢ خاناً ، وكان اربعة منها تقع في ضواحي بغداد والباقي في داخلها ، وكان قسم منها جيد البناء واسع المساحة يسكنه التجار وقسم آخر صغير . [١١]

اما الرحالة الانكليزي (بكنغهام) الذي زار العراق في مطلع القرن التاسع عشـــر ١٨١٦م ، فقد اشار الى وجود خانات كثيرة في بغداد ، وعلى الطرق المؤدية اليها ، وقال : انها عموماً متشابهة في بنائها ، وانها تشبه الى حد كبير الخانات الموجودة في ديار بكر ، ثم تحدث عن (خان مرجان) بإسهاب [١٢] ، كما تحدث عن قسم من هذه الخانات الرحالة الانكليزي الآخر (جيمس بيلي فريـــزر) في رحلته الى العراق سنة ١٨٣٤م في كتابه : (رحلة فريزر الى العراق) [١٣] ، ومثله مـــا ذكـــره الرحالة الفرنسي (پيير دي فوصيل) في رحلته الى العراق في كتابه : (الحياة في العراق منذ قرن) [١٤] الذي ذكر فيه الكثير من هذه الخانات .

قلنا : ان سبب كثرة هذه المنازل والخانات وانتشارها في بغداد وبين المدن ، يعود الى كونهـــا شرطاً اساساً في استمرار التجارة ومواصلة التنقل والترحال والسياحة والزيارة والحج ، ولسنا الآن في صدد تعدادها أو إحصائها بقدر ما نهدف الى عرض فكرة عن وجودها واهميتها وكثرة عدد ما شُـــيّد منها في العراق ، فقد ذكر احد الباحثين المحدثين ان عدد خانات بغداد اواخر العصر العباسي بلغـــت ٩٨٠ خاناً [١٥] ، وهو عدد هائل لو صحّت الرواية – وذلك يدل على اهمية ما تقدمه من خدمات للناس ، وقد ذكر الباحث نفسه انه بقي منها في القرن التاسع عشر ١١٨ خاناً ، كان اكثرها خاصـــاً بـــــ (المكارية) – عمال النقل على الحيوانات – وأيواء الدواب وحفظ الاموال ، والمهم منها ما كان فـــي الأسواق لخزن البضاعة وحفظها ، وكانت مشغولة من قبل التجار ، وذكر أسماء ٢٤ خانـــاً ، حّـــدد مواقعها وذكر وظائفها ، ومعالم بنائها وأسماء بُناتها وأصحابها وتاريخ بنائها [١٦] ، هذا فـــي بغـــداد وحدها يُضاف الى هذا العدد ، الخانات التي كانت مشيدة على الطرق الخارجية بين كل مـــن بغـــداد وكربلاء . وبغداد والحلة وبغداد وسامراء وكربلاء والنجف وغيرها مما ذكره الرحالة والمســـافرون والشعراء والكُتاب في أشعارهم وكتاباتهم ، وسجلته كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشـــعراء وعمـــن بناها من المحسنين والموسرين . اما من حيث انظمة هذه المنازل وآدابها ، فقد ذكر الرحالة الانكليزي (السير واليس بدج) الذي زار العراق سنة ١٨٨٨-١٨٨٩م في كتابه : (رحلات الى العراق) : ان النازل في الخان لا يدفع اجراً ، سوى ان العُرف يقضي بأن يُكرم النازلون فيه الشخص الـــذي يقـــوم بخدمة الخان وادارته قدر ما يستطيع النازل نظير ما يقدمه للمسافر من خدمات ، ولما يقوم به عـــادة باستئجار جماعة تلقى عليهم مهمات تنظيف الخان وحراسته . كما يقوم ايضاً بتزويد النزلاء بالحبوب والاطعمة والوقود والكثير من اللوازم التي يحتاجونها ، على أن تدفع له قيمة هذه المواد ، كما وصف

الرحالة (بدج) في كتابه هذا تلك الخانات وصفاً دقيقاً مما رآه في تجواله في العراق وتحدث عن إدارتها وعمن يقوم ببنائها وطريقة النزول فيها . ونوعية الخدمات التي تقدمها للمسافر والنزيل ، كما تحدث عن هندستها وطرُز بنائها ، وعدد الغرف فيها ، وأقسامها المختلفة وطوابقها التي غالباً ما لا تزيد عن طابقين ، كما ذكر أسماء العديد من الخانات التي نزل فيها ، ووصف كل واحد منها من حيث سعتها وأماكنها . (١٧)

وإذا كان لمنازل الطريق هذه كل تلك الأهمية الكبيرة في خدمة السياحة والسفر ، ويقوم بانشائها محسنون من سُراة الناس ، او ملوك أو حكام أو ولاة مقتدرون ، فانه يكون من الطبيعي ان تُحظى باهتمام الأدباء والشعراء ويتناولونها في أشعارهم وفي كتاباتهم على مرّ العصور بالوصف والاشادة بها وباصحابها ، وان الكثير من اولئك الادباء نزل فيها خلال تجواله ، وان يشيدوا بأولئك المحسنين ، ولا اذيع سرّا حين اقول ان اكثر ما جاء في قصائد الشعراء في وصف تلك المنازل وفوائدها جاء ضمن قصائد مدح بُناتها المحسنين ، والقليل منها ما جاء في وصفها بقصائد مستقلة الغرض فيها وحدها ، لان ما جاء فيها وفي وصفها وبذكر اصحابها أدب كثير وشعر وفير ، ولسنا بقادرين في هذا البحث على إيراد ذلك الشعر كله ، انما سنورد توضيحاً لذلك في مثلين شعريين لشاعرين ممن وصفا تلك المنازل لما فيهما من دقة وطرافة .

اولهما:الشاعر مهدي بن داود آل السيد سليمان الحلي (ت ١٢٨٨هـ/ ١٨٦١م) الذي وصف في شعره الكثير من الخانات التي شاهدها ونزل فيها ، ونورد هنا قسماً من قصيدته التي وصف فيها احد الخانات التي بناها بعض آل كبة بين بغداد والحلة وكان قد لجأ إليه بسب هطول المطر في زيارة قام بها لبغداد (١٨) ، قال فيها :

(وبيت) على ظهر الفلاة بناهُ مَن له همّة من ساحةِ الكون اوسعُ
نزلنا به والغيث يسكب ماءه كأن قطرُهُ من سيب كفيه يهمع
ومنه وقتنا انْ تبلّ ثيابُنا مقاصير من شأو الكواكب أرفع
ولم يُرَ في الدنيا مقاصير جنةٍ لشمل بني الدنيا سواهن تجمع
كأنا حلولٌ في منازلنا بها ولم تتضمنا مهامة بلقع (١٩)

نلاحظ ان الشاعر هنا نقل للخان صورة واضحة من حيث موقعه واتساعه ومنافعه للنزيل والمستجير ، لكن هذا الوصف اتسم بنقل المشاهد بحقيقتها المنظورة بعيداً عن عنصر الشعور بالدفء او الاحساس الظاهر بالسعادة ، والراجح أنه نظمها بعد مدة من مفارقة المنزل ونسيان الدفء الذي اضفاه عليه الخان ، حين دلف اليه هارباً من جيش المطر الهاطل عليه وهو يسكب ماءه مدراراً على ثيابه ، لكنه تَذّكر كل ذلك حين وقف أمام الموسر الذي انشأ الخان وبناه ، وجلس بمجلسه وتلذذ بطعامه واحتسى قهوته ، فصار يمدحه ويشيد به خلال هذه العلاقة الجدلية بين الخان والخدمة والممدوح .

اما الشاعر الآخر فهو: محمد بن الخلفة الحلي (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م) الذي كان اكثر طرافة في وصفه لرحلة قام بها من الحلة الى بغداد ايضاً ، في قصيدة وصف اكثر طرافة في الرسم من زميله الحلي الاول ، واجمل وصفاً واكثر ذكراً لمجموعة من منازل الطريق التي مرّ بها وشاهدها في رحلته هذه ، ومن غير مدح لبناتها . وصفها باسلوب الرحالة الخبير المجرّب والمسافر الدؤوب الذي عرف الطريق وخبَرَ الناس ، فوصفها وصفاً يدل على شعور بمتعة الرحلة ، والاحساس بالامتنان ، وهو ينزل في قسم منها لما يقدمه القائمون عليها من خدمات طيبة واستقبال حسن وما يلقاه النزلاء عموماً من أمان وطعام وشراب . كما ذكر في قصيدته من تلك الاماكن ما لا يحسن النزول فيها او التوقف عندها ، اما لسوء خُلق القائمين عليها لتقصيرهم في خدمة النُزال ، او لعدم توفر الراحة والأمان فيها ، كل ذلك وصفه بنوع من الشعر الجديد (المستحدث) الذي سُمي بـ : (شعر البند) او

: (فن البند) ، والبند هو نوع من الشعر المعرب أستحدِثَ في العصر الوسيط ، وشاع النظم فيه في وسط العراق وجنوبه ، وفي بلاد الاحواز منذ او قبل القرن السابع عشر الميلادي وكثر النظم فيه في القرن التاسع عشر لخفته وسهولته وطرافته ؛ لأن النظم فيه يقوم على أساس التفعيلة بدل الشطرين وعدم الالتزام بوحدة القافية[٢٠] ، وهو يشبه الى حدّ كبير الشعر الحر في العصر الحديث ، أو هو أساس الشعر الحديث الذي تطور عن البند حسبما زعم احد الباحثين المحدثين [٢١] ، ولكنه يُكتب على شكل أسطر النثر ، وليس على شكل أبيات غير متساوية الطول كما هو في الشعر الحر .

ان قصيدة الرحلة هذه لابن الخلفة ووصفه لمنازلها ، هي في الاساس قصيدة في (المدح الديني) ، مدح بها الإمامين الكاظميين (ع) وهو يتجه اليهما ، وبعض الائمة في بغداد ، فكأنه يريد ان يشرح لمادحيه المكرَّمين شدة معاناته وتحمله الصعاب من أجل الوصول اليهم وزيارته لهم ، وربما هي تشبه بشكل من الأشكال (لوحة الرحلة) الى الممدوح في الشعر العربي القديم .

بدأ ابن الخلفة قصيدة الرحلة بوصف مسهب لجواده الذي رافقه في السفر ، وشكله وقوّته ، وكثرة تحمّله ، في وصف طريق ندَرَ مثيله في وصف الخيل في أدب الرحلات في الشعر العراقي في هذه المرحلة ، وهي جزء من وصف المنازل والطرق ووسائط النقل في الرحلات حين يرسم له صوراً اخّاذة جميلة تدل على معاناة حقيقية خلال السفر ، وإلفة مع الحيوان وقربٍ منه ، وان تلك الأوصاف وان كانت تقليدية ، الا انه وضعها في اطار ممتع من الخيال الطريف والمحتوى الجديد والقالب الشيّق والألفاظ السهلة ، ويبدو ان الرحلة تمّت في العقد الثاني من القرن التاسع عشر ؛ لانه ذكر فيها اسم الوالي (سعيد باشا) الذي كان والياً على العراق بين سنتي ١٨١٣-١٨١٦م ، ونلاحظ من وصف ابن الخلفة لجواده ما يدل على بداية رحلة نشيطة وعزم مندفع للسفر وثقة كبيرة برفيق الطريق ، وقدرة على مواصلة الرحلة الطويلة المضنية الى نهايتها ، لذلك أطرى جواده وفصّل في أجزائه ووقف عند خصاله وميزاته من قوة وسرعة وجمال وأصالة ، وهكذا تبدأ الرحلة بقوله : ((أيا مرتقياً سَرَج جَوادٍ من جياد الخيلِ جمّاحُ .رُباعياً من الضمرَّ في غرّته النجمُ اذا لاحْ ، طويلُ العُنقِ والساق . سريُع الخطو سبّاق قصيرُ الاذن والظهر وسيعُ العين والظهر . فلا الريحُ تباريهِ إذا غار . ولا السهمُ يجاريه إذا سار . ولا الطيرُ يحاذيه وانْ طار . ولا يُسبَقُ إن مَر . ولا يُلحقُ إن فَر . ولا يصعبهُ الحر ولا يتعبه الكر – ولا يكلفُهُ البَرْد . ولا يبلغهُ الطرد من الجرد العتاق الشهب ان أقبَلَ كالسيل . وان ادبرَ كالبرق إذا أومضَ في الليل ، ثم يبدأ بوصف الرحلة وتعليماتها ، إذ يقول : ((وسرْ يحفظك الحافظ من كيد ذوي الغدر . لئام القوم كم خانوا وكم ما بينهم ضاع دم هدر . واياك ومكرِ السيُّ الخلق . فلا تصحب سوى السيف . وكن فرداً وحيداً حذراً حتى يراكَ الناس كالطيف ، وعوّد نفسك الغربة واقطع مهمة البيد ، وجرّد صارم العزم من الحزم ، على غاربِ مهريّ لقد فصّلهُ الصانع في أحسن تفصيل ... فحركه من الجسر [٢٢]. لكي يخترق الارض كما النسر . وان جئت الى (النيل) وجاورت (المحاويل) . فلا تأوِ الى خان . ولا ترفق بمن خان سوى (خان ابن نجار) شريف تاجرٍ أشرف تجار . سقى الله . على تربته مرنة غُفران . من الرحمةِ مالم يُسقها من قبل انسان . وأعلى قصره في جنة الخلد بفضلِ منه ما دام وإحسان . فبُت فيه ولا تبرح حتى مطلع الشمس ، ورح بالك لا تذكر ما صابكَ بالامس ، وقم وأسرع بمسراك ولا تمش على مهلْ . ليطوى لك بالمسرى جميع الوعر والسهل . وان جئتَ الى (البير)[٢٣]. تجنبها فما فيها اهل تدبير نعم في (خان زاد) استطعم الزاد هنيئاً واصطبحُ واغبن به طرفكَ مازاد ضحى ثم اشرب القهوة من كفَّ سخيّ ذكره شاع . قنوع كلما تعطيه يهتز بشكرٍ لك ما فيه عطاء أبداً ضاع . فودّعه ودع عن نفسك البُخل . ولا تُصغ لذي عذل . فذاك الناقص الرذل . (وخان الكهيةِ) المشهورِ إن وافيته لا تتخذ فيه نزولا . انَّ قربَ البلدِ الطيّب مخفيه . ومل عنه يساراً تنظر اليسر بعينيك عيانا . وترى يرحل عن ساحتك العسر بياناً . وسيهديك سنا النور الالهي كمشكاة وفيها ضوء مصباح . بدا وسط زجاج فنظن الكوكب الدري قد

اشرق ياصاح نعم ، ذاك شعاع القمرين النيرين ، السيدين السَندين (الكاظمين) فيمم يارسول الخير تلك الحضرة السامية الفائقة الصنع . وهنيت لك البُشرى اذا ما نظرت عيناك فيها غاية المقصد والمطلب والنفع . وانثن نحو ربيع ومحل عامر عال رفيع . ذالك القصر الذي كل خطيب فطن يقصر عن وصف معانيه . تأمل تلك دار شادها المعروف مأوى لجميع العالمينا . دار مولانا طليق الوجه في البذل ... لابي يوسف [٢٤] محمود السجايا صاحب الفضل على الفضل . وعرج ياأخا السير الى الزوراء دار الاولياء الخلفاء المحبوبة الاقليم (بغداد) بلاد تحت الملكَ العلياء ما شام ومصر إحسرة الشاهات لم يُخص مزايا حسنها (المنشي) بتعداد [٢٥] وقف وقفة مبهور على دجلة وانظر فيه خضراء وقد حط بها (النعمان) ذو القدر [٢٦] ، وسلم باحتشام ذا عظيم الشأن من عظمة الرحمن في العلم له صدر . رئيس الفقهاء العلماء الصلحاء . الفاضل الكامل . والعالم والعامل جهراً أوضح الدين . ولا تغفل اذا قابلت قبر (الشيخ معروف) من التسليم ياهذا عليه . فعسى كل بلاء عنك مصروف . فإن جئت الى سوق الكمالات بأهليه المكنى هو في (السوق الجديد) الشاهق المرشد من دون دلالات . حقق ذاك ان يوصف في سوق عكاظ . لما حاز من كل فتى أمضى من السيف . أديب بارع للشعر نقاد.من كل صفي مرتضى القولِ ذي فهم ذكي.أصمعي النطق في الانشاد والانشاء وقاد...)) الخ [٢٧].

(٢) منازل الطريق في الرحلات الى خارج العراق ، او من الخارج اليه :

وهي كثيرة ايضاً ؛ لذلك سنتناول أربعاً منها بايجاز . واحدة (نثرية) وثلاث رحلات (شعرية) .

- (الرحلة النثرية) هي رحلة العالم الجليل السيد محمود شهاب الدين ابي الثناء الآلوسي (١٨٠٢-١٨٥٤م) - صاحب التفسير المشهور للقرآن الكريم المعروف باسم : (روح المعاني) - الى الاستانة ، عاصمة الدولة العثمانية بين سنتي (١٨٥١-١٨٥٢م) ، وقد ضمنها بعض الاشعار ، وسجلها في ثلاثة كتب ، الاول سمّاهُ : (نشول الشمول في السفر الى اسلامبول) . الذي وصف فيه رحلة الذهاب عن بغداد الى استانبول . وقد استغرقت اربعة شهور ابتدأت من غرة جمادى الآخر من سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥١م وانتهت أواخر رمضان من السنة نفسها [٢٨]، وهي مدة تكفي للطواف حول العالم في هذه الأيام عشرات المرات . وقد وضع الالوسي فيه موجز مشاهداته ومصادفاته وبعض الانطباعات السريعة في رحلة الذهاب هذه بايجاز وعلى عَجل قبل ان تغيب عن ذاكرته.

اما الكتاب الثاني فهو : (نشوة المدام في العودة الى دار السلام) الذي وصف فيه (رحلة العودة) الى بغداد ، وهو مختصر ايضاً ؛ لأن ابا الثناء كتب هذين الكتابين خلال مشاكل السفر وزحمة الأحداث ، ومتاعب الطريق ، واضطراب المزاج . فسجل خواطره فيهما بسرعة قبل ان يجتاحها النسيان وتغيب عن الذكراة ويبعد بها الزمن ، فهي شبه مذكرات شخصية سريعة لذلك أوجز فيهما ايجازاً تاماً ، كما جاءت التسجيلات مرتبكة والأحداث غير متناسقة والمشاهدات متقطعة ، والأفكار مشوشة والأسلوب مضطرباً . وقد طبع هذان الكتابان بمجلد واحد بمطبعة الولاية ببغداد سنة ١٢٩١-١٢٩٢هـ .

اما (الكتاب الثالث) فهو المهم الذي سماهُ : (غرائب الاغتراب ونزهة الالباب في الذهاب والإقامة والإياب) ، المطبوع ببغداد سنة ١٣٢٧هـ الذي كتبه ابو الثناء بعد أن عاد الى أهله ببغداد ، واستقرت به الدار ، وانحسر عنه غبار السفر وأصاب قسطاً من الراحة ، حينها رفع الى ذاكرته واستنطقها ذكرياتها ، وأعاد تسجيل أحداث رحلته فيها ، وأحداث سفرته خلالها ومنازل شاهدها او نزل فيها ، وقد كتب هذه المرة على روية وعلى مهل ، فقد تأنق في عباراته ، واختيار صوره وفي إحكام اسلوبه . وقد أطال في الوصف وفصّل في المواقف ، وتأنق في التصوير ، وحرص على ذكر كل كبيرة وصغيرة مما لاقاه في رحلته ، ولما شاهده من مدن ومنازل وأناس وعادات وتقاليد ،

مطعمة هذه المرة بالشعر من نظمه او لغيره ، وباسلوب حافل بالمحِسنات البديعية والزخرفة اللفظية مما شاع في عصره واستحسنه الناس ، حتى حازت إعجاب معاصريه من شعراء وأدباء وأصدقاء[٢٩] ، وسنذكر له هنا بعض مشاهداته ومما وصفه من منازل ومدن وناس .

حين مرّ الآلوسي بالموصل في رحلة الذهاب وصفها بقوله : " هي مدينة عذبة الماء ، طيّبة الهواء ، فهي واسطة البلاد وسرتها ووجهها الصبيع وغرتها ، وهي تلد الربيع مرتين ، وهي كالعرائس في حُليها وزخارفها .

كأن نسيم الربيع في جنباتها نسيم حبيب او لقاء مؤمل

وانها تنبت العلماء والمحققين ، كما تنبت الأقحوان والنسرين ، وتخرج الأخيار كما تخرج الازهار "[٣٠].

وبعد الموصل يدخل الاراضي التركية فيصف مدنها ومنازلها ومعالمها . ولعل أطرف ما رسمه تلك الصورة الطريفة حين ركوبه الباخرة في البحر الأسود التي مخرت به عباب الأمواج في أسلوب يزخر بالزخرفة ، قال : " ثم ركبنا البحر الأسود لطلب العيش الأخضر وإذاقة العدو الأصفر طعم الموت الأحمر[٣١] .

وحين يصل الى القسطنطينية – عاصمة الدولة – يصفها وصفاً يدلّ على انبهار بها وعجب بكل مناحيها . فهو لم يترك جانباً فيها الا ذكره ولافئة من الناس الا أسهبَ القول فيها وفي طبائعها وأشكالها ، كما وصف المنازل والمعالم والمعابد والمساجد والأبنية والأسواق والمدارس ، ووصف خانات وتكايا الدراويش ، والنوادي والمقاهي ونوع روادها ووصف الشطار والأفاقين وأهل الفتونة فيها . ومثلما وصف رجال الحكم والسياسة والموظفين وصف أصحاب الطرق الصوفية وتكايا الدراويش كما وصف علمائها ومدرسيها وطلاب العلم فيها مثلما وصف العامة وأهل الحِرَف والباعة أيضاً [٣٢] .

وللمثال نقتطف مما قاله في وصف القسطنطينية :

" بلدة . مونفة الأرجاء ، رائعة الأنحاء ذات قصور ومنازل وبستان تضيق عن تصورها سعة الاذهان . فقد تفنت أطيارها ، فتمايلت طرباً أشجارها ، وبكت أمطارها فتضاحكت ازهارها ... فتدانت ولاتداني المحبين وتعانقت ولاتعانق العاشقين ...

فكأن النرجس الفضّ بها اعين العين وما فيهنّ غَمض))[٣٣]

ولعل اطرف ما يلفت النظر عما وصفه من مشاهد الاستانة هو وصفه لنسائها ، حين وصفهن بدقة واندهاش وانبهار وتعجّب مما يُعدُّ غريباً على شخص مثل ابي الثناء وله مثلُ علمه وصلاحه وتأثمه ، وهو يرقب النساء ويتتبع سيرهن ويدقق في اشكالهن وازيائهن ، ولعل سبب ذلك هو أن الانسان ذو فضول يحب ان يرى غير المتوقع والمأمول ، فنساء الاستانة عاصمة الدولة الكبيرة الواسعة – غير نساء بغداد في تلك المدة ، فهُن بالنسبة له شيء غريب مقارنة بنساء بغداد – المدينة المنكوبة بحكم الاجنبي منذ قرون ؛ لذلك حمل وصفه لهنّ طابع العجب والاستغراب ، وهو يراهُن سافرات الوجوه عاريات الاكتاف ، يَراهُن الماشي من غير حجاب ، كما يقول :

" وفيها من النسوان ما يُخيّل اليك أنهن حُور من الجِنان... وانهن يبرزن الى الازقة من غير نقاب ... فكأنهن نسيم همَّ ان يتجسد الله اكبر كيف نسج الريح على الماء زرد . وربما يُنشد الرائي لهنّ قوله :

" رق الزجاجُ وراق الخمرُ فتشاكلا وتشابَه الامرُ

فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرٌ

ومعظمهن حرائر . وان لم يتحجبن عن النواظر . والله در من قال فيهن :

هن الحرائر لاربات اخمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور"[٣٤]

هذا نموذج من وصف المنازل والمسالك في الرحلات النثرية .

اما الرحلات الشعرية فهي أكثر عدداً وأطرف صوراً وأغرب مواقف . وقد ذكرنا اننا سنتناول ثلاثاً منها ..

١-رحلة الشاعر عبد الجليل البصري البحرية من البصرة الى أطراف البحرين التي استغرقت أسبوعين من ربيع سنة ١٨٢٥م ، اقلته مع لفيف من زملائه في رحلة بسفينتين سماها : (نزهة الجليس) في قصيدة رجز طويلة بلغت ١٨٨ بيتاً ، في وصف ممتع للمناظر والمنازل والبحر والشواطىء والقبائل العربية عليها ، وغيرها ، وتكمن أهمية هذه الرحلة في جانبها العلمي والتاريخي ، حيث كشف المواقع وذكر المنازل وعيّنَ الاتجاهات ، فضلاً عما فيها من ادب طريف ممتع ، نذكر منها ما يتعلق بخط السير وما رصده من مشاهد ومنازل ، بعد ما جرت بهم السفينتان ، من قوله :

قد امتطينا قاربين حفا بحسن تيسير الاله لطفا

وبعد ان انحدرت السفينتان في الخليج ، ورأى النخيل شامخات باسقات على ضفتي شط العرب والخليج والينابيع الجارية فيها ، قال :

ترى بها النخيل باسقاتٍ من كل نوع لذ للجناة
فيها ينابيع مياه قد جرت في برها ومجرها تفجرت

وإذ يدخل مياه البحرين تذهله جزرها الكثيرة ومنازلها وملاحة نسائها ، فيقول :

واذ غنمنا نزهة (الجزيرة) سرنا الى (جو) بحسن سيره
وقد وردنا منهلا مستصغى فيه مريئاً سكرياً اصفى
دار لربات الجمال الخُرَد من كل هيفاء بقد أميد
كأنما الاترج في الاوراق شب والنخل فيها قد أبان طلعه
اشجارها تنوعت ازهارها غنى على افنانها هزارها
حتى نزلنا في فناء (القلعة) في خيمة خضرا قناديل ذهب
صخورها منحوته مربعة عظيمة السمك بطول وسعة
حاط بها سوران ثم الخندق يعجب راء عرضه والعمق
قصورها ناءت عن التقصير وقد زهت بزخرف التعمير[٣٥]

٢- رحلة الشاعر حبيب بن طالب البغدادي ، قام بها من بلاد عاملة في جنوب لبنان الى العراق سنة ١٨٤٧م . ووصف فيها منازل ومعالم العمارة ، وهي رحلة فاقت رحلة زميله (البصري) طول مدىً. وعدد أبيات وطرافة وصف ، وحسن أسلوب وغرابة مشاهد ، ولطافة تصوير ، وكثرة تفصيل في قصيدة رجز ايضاً طويلة . وقعت في ٢٧٦ بيتاً .

وهذه مشاهد من الرحلة وبعض الوصف لمنازلها :

فحين سرنا من (بلاد عاملة) بحمدِ خير منعم والشكر له
فبدء سيري كان من (تبنين) غب وداع الطرف الامين
وقد نهضنا عند ضوء الفجر نفري الفلا من مهمة وقفر
حتى وردنا (الشق)وهو منبع صاف كعين الديك صرف يلمع

ويواصل الرحلة ويصف المدن ، بقوله :

وبكر الركب الى (الشام) ولا تسل عن ذلك المقام
تى وردنا (حارةالخراب) حمن الشام مركز الانجاب
وفي صباح الثالث الركب ارتحل الى (حماة) والقصيرقد وصل

وحين يصل الى (حماة) تبهره كثرة نواعيرها وأنينها الطويل :

وللنـــــــواعير حنـــــــين مُوجـــــــع لكـــــل قلـــــب بـــــالنوى مُصـــــدع

تـــــدور ســـــعياً وتـــــئن كمـــــداً كأنهـــــا تطلـــــب إلفـــــا فُقـــــدا

لكن أعجب شاهد هذه الرحلة واغربها ، تلك التي بدأ فيها يتصور أموراً وهمية حين أمَضّ به التعب في بعض مراحل السفر ، وأخذ منه الإعياء مبلغه ، حين ذكر انه شاهد في منطقة (سـويدك) في الشام ستة أجساد من آل الرسول ملقاة على مرتفع من الأرض من غير مواراة من زمن طويل من غير ان يمسها التلف ، ويفوح منها أريج المسك . وهم (شيخ ، وابناه ، وابنتاه وزوجته) ، لنر هـذا المشهد الممتلىء غرابة :

وفـــي (ســـويرك) شهدنـــا آيـــة ثابتـــة بالنقـــل والروايـــة

ان بهـــا مـــن عصبـــة المختـــار ســـبعة اجســـام بـــلا تـــواري

اجسامهـــم علـــى مـــرور الحجـــج باقيـــة تذكـــو بطيـــب الارج

واحدهـــم شيـــخ كبيـــر أشـــيب يُـــدعى عليـــاً وهـــو مـــنهم معطـــبُ

مبضـــع الصـــدر طعـــين الخاصـــره بـــادٍ لعـــين ناظـــر وناظـــره

وابنـــان فـــي جنبيـــه وابنتـــان وزوجـــه لـــه علـــى البيـــان

هـــم علـــى مرتفـــع كالمصطبـــة اجســـادهم مصفـــوفة مرتبـــة

أما حين يصل الى منطقة (الجزيرة) في العراق ، فيصورها هذا التصوير الطريف :

حـــين وردنـــا بعـــدها (الجزيـــرة) وهـــي لعمـــري بلـــدة خطيـــرة

وقـــد خلـــت مـــن نضـــرة ومـــن شـــجر ومـــن قصـــور ترتقـــي ومـــن أثـــر

ومـــا بهـــا ســـوى الميـــاه دائـــرة مثـــل غـــواة حـــول بنـــت حاســـرة

رخيصـــة الاســـعار خـــذ ولا تســـل اللحـــم والســـمن كثيـــر والعســـل

وحين يصل الى (الموصل) يُسعَد برؤيتها ومشاهِدها ومنازلها ، ويقول فيها :

وهـــي لعمـــري بلـــدة عظيمـــة أحوالهـــا بـــاللطف مستقيمـــة

زاهيـــة الجنـــات بالأثمـــار لكثرهـــا رخيصـــة الاسعـــار

ولا أطيـــل الشـــرح فـــي حُســـن الثمـــر فعـــن جنـــات الخلـــد قـــد ذاع الخبـــر[٣٦]

٣- الشاعر الثالث : عبد المحسن الكاظمي ١٨٦٥-١٩٣٥م في رحلته الشهيرة من العراق الى مصر عن طريق البصرة فايران فالهند ، ثم (بحراً) الى مصر بين ١٨٩٧-١٨٩٩م . وقد وضع الكاظمي مشاهداته في رحلته المثيرة هذه في ثلاث قصائد ضمها ديوانه المطبوع ، الا انها اقل أهمية (فنية) من رحلة زميليه البصري والبغدادي واقل تفصيلاً ووضوحاً ، واقل تشويقاً وحبكة ، وأبهتُ صـوراً على الرغم مما يتمتع به الكاظمي من شاعرية متدفقة ، لا يملكها زميلاه ، كما انه ليس فـي الرحلـة نفسها ومناظرها ومتاعبها ومفارقاتها ما وجدناه في الرحلتين السابقتين ، من إفاضة في السرد ودقـة في الوصف وتتبع للمشاهد – على الرغم من انها كانت أطول زمناً ، واشد معاناة واكثر خطراً ، ولعل سبب عدم لحاق رحلة الكاظمي (فنياً) برحلة زميليه ان الرجل في رحلته هذه كان يحمل همومه بين جنبيه في رحلة الهجرة هذه . فقد غادر العراق مُطارداً من السلطات ، وفي صدره مضاضة الفـراق الإجباري عن الوطن ، وفي قلبه سعير الشوق الى الاهل اكثر من شعوره برحلة ممتعة يقضي فيهـا اياما هانئة ويشاهد خلالها مناظر خلابة ويعود بعدها الى وطنه سعيداً آمنا مثلما كان حال زميله ، ففي إحدى قصائده يصور قسماً من رحلته عند نزوله في الهند الى البحر في رحلة السفر الى مصر. قال :

ولّمـــا نقلنـــا للبواخـــر رَحلنـــا وعفنـــا (المطايـــا) هـــنَ حســـرى وطُلّـــعُ

هجمنا على جيش من الموج ضاربٍ بزخاره نحو السما يترفعُ
يطالعنا من كل فج كأنه جبال شرورى اصبحت تتقلّعُ
ولما تبينت السويس وسار بي الى النيل سيّار من البرق اسرع
هرعتُ اليها عاطفاً من حُشاشتي وقلت لصحبي : هذِهِ مصر فاهرعوا[٣٧]

ولا تخفى على القارىء الفرحة التي اجتاحت الكاظمي وهو يرى ارض مصر الموعود بالبقاء فيها الى نهاية حياته .[٣٨]لكن معاناته الشديدة ومخاطر ركوبه البحر لا تتضح حتى تنتهي بوصوله الى بر السويس بمصر ، ولكن على اختصار وسرعة شديدين بحيث يفقد القارىء مُتعة التأمل والسير معه في طول البحر وعرضه وتأمل مناظره ، ومشاطرته أهواله ومخاطره ، فما ان ينزل الى البحر في بداية السفر حتى يصل بنا الى السويس وينزل الى مصر ، فيشعر القارىء بانقطاع ذهني مرعب وصحوة مفاجئة من حلم لذيذ ، ويبدو أن فرحته العارمة بلقاء مصر بعد طول مشقة وترقب ولهفة جعلته ينسى آلام المعاناة وخوف طغيان البحر عليهم .

ونلاحظ خلال هذه الابيات من وصف الرحلة وفي مقاطع اخرى آثار الاسلوب البدوي الذي ما زال يلاحق بيان الكاظمي ولغته ، على الرغم من انه يصف موضوعاً حضارياً حديثاً متمثلاً بالباخرة وفخامة صنعها ، لكنه بقي يستخدم عبارات الاقدمين وتشبيهاتهم في السفر المتمثلةبـ:(المطايا) وحسرى وظلع وغيرها ، ثم تشبيه مراكب السفر وضخامتها بـ(النوق) و (جبال شروري) كأنها تتقطع ، ثم بـ (البرق) الذي كثيراً ما يلازم السائرين في الصحراء .

ويواصل الكاظمي وصف رحلة البحر بالباخرة (في قصيدة اخرى) فيصورها هذا التصوير الطريف ، سالكاً اسلوبه البدوي التقليدي القديم نفسه الذي وجد عليه جيله من شعراء القرن التاسع عشر وتعلقهم بالصحراء ومشاهدها وبعباراته واساليبه المتعارفة . فيقول في (البواخر) :

قاطعات البحار طولاً وعرضا بين صيف يقودها وشتاء
فكأنها في أخريات الليالي أوليات الخدور في الاحياء
كل قاريةٍ توشح في حمر راء جادية على صفراء
وكأن الرايات (حمُر جمال) لحنَ من فوق قبةٍ حمراء
أو طيور حمر وخضر يرفرفـ نَ على الوكر فوق عالي البناء
أبداً تنطح (السحاب) بخيشو م وتغري به عُباب الماء
ما أحرَّ الضمير منها وما أبـ رَدَ ظهرانها من الارتواء
يغمر الماءُ نصفها الاسفل والـ أعلى مجال الارواح والانداد
ومتى تلتقي باخرى تقل (ثهـ لان) أضحى معانقاً (لحراء)

وحين يصل الى البر المصري ويستقل (القطار) من السويس الى القاهرة يرسم له هذه الصورة الطريفة التي تدل على انبهاره بهذا المخترع الجديد الذي لم يكن رآه من قبل ، فيصفه باسلوبه البدوي الجزل المعروف ويستعير له مرة اخرى صورالصحراء ومعالمها حين يشبه بـ (قافلة الإبل) التي تقطع الصحراء طولاً وعرضاً ، مع مشاهِد أخرى منها ، فيقول :

وبأثناءٍ كل ذي عجلات دائرات بذلك الاثناء
مرعد مُبرق ولا رعدَ في السحـ ب ،ولا بارق يلوح لرائي
ساحبا خلفه قصوراً كما ذا ك دراً سحائب الانواء
من رأى قبلها المقاصير تجري هوماً في المفازة البهماء
فاذا جاز او دنا ربوع ناح نوح الحزينة الثكلاء

واذا هـــمّ للرحيـــل دعـــا القـــو م ،فكـــان الجميـــع طـــوع الدعـــاء
ومتـــى ســـار ينشـــر الظـــل فـــي السهـــ ـل يطـــوي (الحـــزوم) طـــيّ الـــرداء
قلـــتُ : ملـــك مـــن الزنـــوج تـــردى بـــرداء الجـــلال والكبريـــاء
ملـــكُ قاهـــرٌ .. لـــه ترعـــد الغبـــ راءُ وتهتـــز قبّـــة الخضـــراء [٣٩]

ويعود الكاظمي في قصيدته (الثالثة) الى وصف مشاهد البحر والبواخر فيه التي يسميها:(بنات الماء) وبسط همومه في هذا المقطع الطريف منها :

بنفســـي مـــا بنفســـك يـــوم شـــطتْ (ابـــو شـــهْر) وســـرتُ ولا صـــحيبُ
أقمنـــا برهـــة والفجـــر طفـــلٌ بطلعتـــه قـــرون الليـــل شيـــب
وســـرنا والهمـــوم بهـــا انســـيابٌ علينـــا والظـــلام لـــه دبيـــب
وعجنـــا راكبـــين اليـــوم فلكـــاً وهـــل أغنـــى الفـــوارس ذا الركـــوب
بـــواخر مـــن (بنـــات الماء)شـــمّاً علـــى هـــام الســـحاب لهـــا ســـحوب
تحلـــق كالعقـــاب بنـــا وتهـــوي هـــويَّ الطـــودِ اوهتـــهُ الخطـــوبُ
ولـــم يـــرع الحشـــا منهـــا ومنـــا صـــعود بالعواصـــف او صبـــوبُ
تكـــفّ المـــوجَ وهـــو بهـــا محـــيط نـــزاع النفـــس لاحتـــها شـــعوب
بلغـــت بهـــا قـــرارة كـــل لـــج بعيـــد القعـــر لـــؤلؤه رطيـــب
وأرض جزتهـــا مـــن بعـــد أرض سباســـبها المريعـــةُ والســـهوب
أعـــوم بحارهـــا طـــوراً وطـــوراً أجـــوبُ بهـــا المـــوامي مـــا أجـــوب
الـــى أن قـــادني أملـــي لمصـــر قيـــادَ الجامحـــاتِ وهـــنّ لـــوبُ [٤٠]

الهوامش والمصادر

(١) ينظر عن تلك الرحلات وأزمانها: (ادب الرحلات)–احمد ابو سعد،دار الشرق الجديد–بيروت– ص١٧–٢٢٦ .
(٢) ينظر عن نشاط العرب والمسلمين في مجال الرحلات : (ادب الرحلات عند العرب حتى القرن الثامن للهجـرة) علي محسن مال الله ، مطبعة الارشاد – بغداد ١٩٧٨ .
(٣) انظر عن الكثير منها ، في : (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) ، همسلي لونكريك ، ترجمة : جعفر خياط ، طبعة ٣ ، مطبعة البرهان – بغداد ١٩٦٢ .
(٤) البغداديـون – أخبارهم ومجالسهم – ابراهيم الدروبي – مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٨ ص٣٩٤ .
(٥) العقد المفصل – حيدر الحلي ج ١/ص:ص–ي ، مطبعة الشابندر – بغداد ١٣٣١هـ .
(٦) تاريخ اليعقوبي – طبعة ٣ ، المطبعة الحيدرية – النجف ١٩٥٧، ص١ .
(٧) معجم البلدان – ياقوت الحموي – بيروت ١٩٥٦ ، مجلد ٣٤١/٢ .
(٨) ينظر : دليل متحف الآثار العربية في (خان مرجان) .
(٩) كلشن خلفا – نظمي زاده – ترجمةُ عن التركية : موسى كاظم نورس ، النجف ١٩٧١، ص٢٠٩–٢١٠ .
(١٠)العراق في القرن السابع عشر – تافرنيه – نقله الى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة المعارف – بغداد ١٩٤٤، ص٨١ .
(١١) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر.ترجمةُ عن الألمانية:محمود حسين الأمين–بغداد ١٩٦٥، ص٤٤ .
(١٢) (رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦) – بكنغهام–ترجمة:سليم طه التكريتي–مطبعة أسعد–بغداد١٩٦٨ ، ج١/١٩٧ .
(١٣) (رحلة فريزر الى العراق سنة ١٨٣٤) – جيمس بيلي فريزر ، ترجمة : جعفر خياط – بغداد ، ١٩٦٤ .
(١٤) (الحياة في العراق منذ قرن) پيير دي فوصيل – ترجمة : اكرم فاضل – بغداد ١٩٦٨ .
(١٥) رحلتي الى العراق ،جيمس بكنغهام ، مجلة المورد (البغدادية) – المجلد ٤ع٨ ،١٩٧٩ ص٣٣ .
(١٦) المرجع نفسه ص٣٤–٣٦ .
(١٧) (رحلات الى العراق) – السير واليس بدج– ترجمة : فؤاد جميل – طبعة ١ – بغداد ١٩٦٦، ص١٢١–١٢٧ .
(١٨) نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر– د.محمد مهدي البصير، مطبعة المعارف– بغداد١٩٤٦، ص٣١٧ .

(١٩) ديوان مهدي بن السيد داود آل السيد سليمان ، (مخطوط) ج٢ – الورقة ١١٠ – محفوظ لدى اسرته في الحلة .
(٢٠) يُنظر عن البند وأولياته وضوابطه الموسيقية : (البند في الأدب العربي) ، عبد الكريم الدجيلي – مطبعة المعارف – بغداد ١٩٥٩ ، ومجلة المورد ، مقال د.محمد حسن علي مجيد (شعر البند) – المجلد ٢٢ العدد/٢ لسنة ١٩٩٤، ص٣٧ .
(٢١) يُنظر – (مجلة المجمع العلمي العراقي)– مقال (الجذور التاريخية للشعر الحر في العراق)– د.محمد حسن علي مجيد – العدد الاول لسنة ٢٠٠٠ ، ص٥٧ .
(٢٢) المقصود بـ (الجسر) هنا هو جسر الحلة القديم ، الذي انطلقت منه الرحلة .
(٢٣) (البير) منطقة بين النجف وكربلاء في منتصف الطريق تقريباً،وكانت تسمى:(خان النص)أو:(بيرالمنتصف) .
(٢٤) (ابو يوسف) هو القاضي يعقوب بن ابراهيم الانصاري الفقيه المعروف المتوفى سنة ١٨٢هـ،وجامعهُ ما زال موجوداً في الكاظمية ، وهو في الأصل داره التي كانت مجتمع أهل العلم والفقه والفضل .
(٢٥) المقصود بـ (المنشي) هو (المنشيء البغدادي) صاحب الرحلة المعروفة الى بغداد .
(٢٦) المقصود بـ (النعمان) هو الإمام ابو حنيفة (النعمان بن ثابت الكوفي) .
(٢٧) مجلة اليقين (البغدادية) ج٦ السنة الاولى ، ١٠تموز ١٩٢٢ ، ص١٨٢–١٨٨ . وانظر القصيدة ايضاً في : (البند في الادب العربي) للدجيلي ص ٧١–٧٢ .
(٢٨) المسك الأذفر – السيد محمود شكري الآلوسي (ت١٩٢٤م ، وهو حفيد ابي الثناء الآلوسي) ، مطبعة الآداب – بغداد ١٩٥٨ج١٣/١–١٤ .
(٢٩) انظر ما ذكره الشاعر عبد الغني جميل ، في وصف الكتاب واطرائه وتقريظ الرحلة في : (مجموعة عبد الغفار الأخرس) ، بغداد ١٩٤٩، ص١٢٧ .
(٣٠) غرائب الاغتراب – شهاب الدين محمود أبو الثناء الآلوسي ، مطبعة الشابندر ، بغداد، ١٣٢٧هـ .
(٣١) غرائب الاغتراب ١٠٥ .
(٣٢) انظر تفصيل ذلك في : غرائب الاغتراب ١٦٦–١٩١ .
(٣٣) المرجع نفسه ١٠–١٣ .
(٣٤) المصدر نفسه ١٣ .
(٣٥) انظر الرحلة كاملة في (ديوان عبد الجليل الطباطبائي) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٦هـ ، ص٣٧–٤٦ ، وأنظر ترجمة الشاعر في مقدمة الديوان .
(٣٦) انظر الرحلة ومشاهِدها ومنازلها كاملة في : (شعراء كاظميون) ، الشيخ محمد حسن آل ياسين ١٩٦٦/١–١٧٨ ، مطبعة المعارف – بغداد ١٩٨٠ ، وقد لقبه الشيخ آل ياسين بـ : (الكاظمي) .
وانظر الرحلة ايضاً في : شعراء الغري – علي الخاقاني ٤٢٠/٢–٤٣٠ – المطبعة الحيدرية– النجف ، ١٩٥٤ .
(٣٧) ديوان الكاظمي – شاعر العرب م٤٨/١– ٤٩ ، طبعة ١ ، مطبعة ابن زيدون – بغداد .
(٣٨) شاعر العرب – عبد المحسن الكاظمي – د. محسن غياض ، وزارة الإعلام – بغداد ، ١٩٧٦ ، ص٦٠ .
(٣٩) ديوان الكاظمي – شاعر العرب م٥٤/١–٦٢ .
(٤٠) المرجع نفسه – شاعر العرب م٦٣/١–٧٦ .

عمادة
كلية الآداب
للمراسلات والمعلومات
جامعة القادسية / كلية الآداب
الديوانية – العراق
ص.ب : ١٨١١